عيّنة من الكتاب

(للتصفح والاطّلاع)

بسم الله الرحمن الرحيم

شيرلوك هولمز

لُغز العِصابة الرَّقْطاء

وثلاث قصص أخرى

تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: سالي أحمد حمدي
تحرير: رمزي رامز حسّون

الأجيال للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لأربع من قصص
شيرلوك هولمز المنشورة أول مرة عام ١٨٩١/١٨٩٢

The Five Orange Pips
The Man with the Twisted Lip
The Adventure of the Blue Carbuncle
The Adventure of the Speckled Band

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنَع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا
الكتاب بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو
إلكترونية أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL *Publishers*
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الثانية
٢٠٢٠

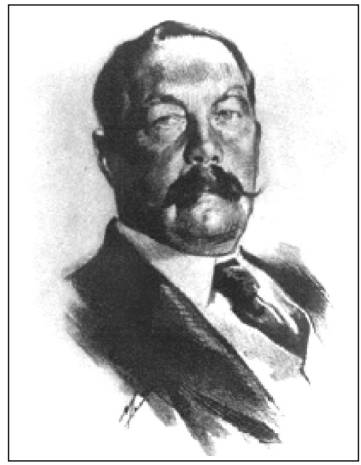

آرثر كونان دويل

وُلد آرثر كونان دويل لأسرة متوسطة الحال في إدنبرة في سكتلندا في الثاني والعشرين من أيار (مايو) عام ١٨٥٩، والتحق بكلية الطب فيها وعمره سبعة عشر عاماً. وكان من مدرّسيه في الكلية الجرّاحُ الشهير الدكتور جوزيف بِلْ، وهو الذي أوحى إليه بشخصية شيرلوك هولمز التي ابتكرها بعد ذلك.

في عام ١٨٨٢ حصل دويل على شهادة الطب من جامعة إدنبرة، وكان يحلم بأن يصبح جرّاحاً وخبيراً في التشخيص مثل الدكتور بل، ولكن قلة المال اضطَرَّته إلى العمل طبيباً على سفينة لصيد الحيتان.

بعد ذلك مارس مهنته في منزل صغير استأجره في بعض ضواحي بورتْسماوث، ولكن عدد المرضى كان قليلاً فاتجه

إلى الكتابة أملاً في الحصول على بعض الدخل الإضافي. وقد كتب بعضاً من قصص المغامرات لمجلّات الفتيان، ولكن أجره عنها كان ضئيلاً، وفشلت روايته الأولى في العثور على ناشر.

وفي غمرة إحساسه باليأس فكّر في أساليب الدكتور بل في التشخيص، وقرر أن يستخدمها في قصة يكون بطلها واحداً من رجال التحري. وهكذا وُلد شيرلوك هولمز في رواية «دراسة في اللون القِرْمِزي» التي نشرها دويل سنة ١٨٨٧.

لقد ابتكر دويل شخصية تفيض بالحياة، حتى إن الجماهير رفضت أن تصدق أنها شخصية خيالية! وكان المؤلف يتلقى بانتظام خطابات موجَّهة إلى هولمز تطلب مساعدته في حل قضايا حقيقية، وبعض هذه القضايا أدى إلى كشف قدرة دويل نفسه.

واحدة من تلك الحوادث كانت عن رجل سحب كل أمواله من البنك وحجز غرفة في أحد فنادق لندن، ثم حضر حفلاً عاد بعده إلى فندقه حيث بدَّل ملابسه ثم اختفى. وعجز رجال الشرطة عن اكتشاف مكانه، وخشيت أسرته أن يكون قد أصيب بسوء، لكن دويل حلَّ المشكلة سريعاً إذ قال: "سوف تجدون رجلكم في غلاسكو أو إدنبرة، وقد ذهب هناك بمحض إرادته. إن سحب كل أمواله من البنك يشير إلى الهروب المتعمَّد، والحفل الذي كان فيه ينتهي في الساعة الحادية عشرة، ولمّا كان قد أبدل ملابسه بعد عودته فلا بدّ أنه كان ينوي القيام برحلة، والقطارات السريعة المتجهة إلى

سكتلندا تغادر محطة كِنْغز كروس عند منتصف الليل". وقد عُثر على الرجل في إدنبرة فعلاً!

كان آرثر كونان دويل رياضياً متعدد المواهب، فقد مارس الملاكمة وكرة القدم والبولينغ والكريكت، وكان خطيباً مفوَّهاً ومحاضراً ناجحاً ومحاوراً بارعاً، وقد ذاعت آراؤه وأفكاره المتنوعة في الطب والعلم والأدب والسياسة والاجتماع.

عام ١٩٠٠ تطوّع الدكتور آرثر كونان دويل في حرب البُويِر (التي دارت في جنوب إفريقيا) وصار كبيراً للجرّاحين في واحد من المستشفيات الميدانية، وفي نهاية الحرب مُنح وسام الفروسية ولَقَبها «سيرْ» تقديراً لخدماته. وقد أصدر بعد عودته إلى إنكلترا كتاباً مهماً عن هذه الحرب.

توفي السير آرثر كونان دويل في السابع من تموز (يوليو) عام ١٩٣٠ بعد أن بلغ الحادية والسبعين، بعد ثلاث سنوات من كتابة آخر قصصه عن شيرلوك هولمز وبعد مرور أكثر من أربعين عاماً على أول ظهور علني لهذه الشخصية الخارقة.

شيرلوك هولمز وعالَمه

ربما كان شيرلوك هولمز أشهرَ الشخصيات الخيالية في التاريخ، بل إنه يكاد يفوق في شهرته كثيراً من مشاهير العالم الحقيقيين. وقد بلغ من شهرة هذه الشخصية أنها فاقت شهرةَ مبتكرها، آرثر كونان دويل.

استوحى دويل شخصية هولمز وصفاته من الدكتور جوزيف بِلْ الذي درّسه في كلية الطب. كان الدكتور بِلْ يتمتع بموهبة عظيمة في الملاحظة وأسلوب التفكير المنطقي، وكان يثير اهتمام تلاميذه بقدراته الاستنتاجية الفذة، فهو لم يكن ماهراً فقط في التعرف على علل المرضى، بل وفي معرفة شخصياتهم ومِهَنهم وتفصيلات خفية عنهم أيضاً. كان يقول لأحد المرضى مثلاً: "أنت ضابط سُرِّح من الجيش حديثاً، وقد عدتَ لتوّك من بربادوس، وأنت تعاني من داء الفيل".

وبعد أن تسيطر الدهشة على المريض والطلبة على السواء يشرح الدكتور بل الأمر قائلاً إن الرجل يبدو جندياً من

هيئته، وعدم خلع قبعته عند دخوله الغرفة يدل على أنه ترك الخدمة حديثاً، وهو يملك مظاهر السلطة كتلك التي توجد لدى الضباط، وتدل بشرته التي لوّحتها الشمس والمرض الذي يشكو منه على أنه جاء من منطقة استوائية، وقد جاء من بربادوس لأن هذا المرض بالذات منتشر هناك!

«وُلد» شيرلوك هولمز -في عالَمه الخيالي- سنة ١٨٥٤ وحصل على شهادة جامعية لم يحدّدها دويل، ثم احترف مهنة «محقق خاص» منذ نحو سنة ١٨٧٨، وكان يقيم في شارع بيكر في العاصمة البريطانية لندن، ورقم البيت الذي يقيم فيه هو «٢٢١ب». وقد لا نبالغ إذا قلنا إن هذا العنوان (شارع بيكر، ٢٢١ب) هو أشهر عنوان في العصر الحديث! وقد برع هولمز في كشف الجرائم وحل الألغاز الغامضة بفضل دقة ملاحظته

وقدرته العظيمة على الاستنتاج والتحليل المنطقي، بالإضافة إلى غزارة معلوماته واطّلاعه الواسع على العلوم المختلفة.

أما الدكتور واطسون، صديق هولمز ومساعده الذي يرافقه في قصصه كلها، فلا يكاد يقل شهرة عن هولمز نفسه، وهو رَاوِيةُ القصص الذي يقصّها علينا (كما فعل بعد ذلك هيستنغز في كثير من مغامرات بوارو، المحقق الشهير الذي ابتكرته أغاثا كريستي). وُلد نحو سنة ١٨٥٢ وحصل على شهادته الجامعية في الطب سنة ١٨٧٨، ثم انضم إلى الجيش وشارك في الحملة الأفغانية، ثم عاد إلى بلده وتقاعد من الجيش بعدما أصيب في إحدى المعارك، وعندها تعرف إلى شيرلوك هولمز في مختبر الكيمياء بمستشفى ستامفورد أوائل سنة ١٨٨١، ولم يفترق الصديقان بعد ذلك قط.

في قصة «المشكلة الأخيرة» التي نُشرت في نهاية عام ١٨٩٣ «قَتل» دويل بطلَه شيرلوك هولمز، لكنه واجهَ احتجاجاً عارماً من جماهير القراء فقرر إعادة إحياء هذه الشخصية الخيالية من جديد، فعاد هولمز إلى الظهور مرة أخرى في أواخر عام ١٩٠٣ ليستأنف حل القضايا الغامضة.

قصص شيرلوك هولمز

أول قصة نشرها دويل كانت في عام ١٨٧٩، وهي قصة قصيرة عنوانها «إفادة السيد جِفْسون»، أما أول رواية نشرها من بطولة شيرلوك هولمز فكانت «دراسة في اللون القِرْمِزي»، وقد صدرت في بريطانيا عام ١٨٨٧ فلم يَكَد يُحِسّ بها أحد، لكنها حققت نجاحاً معتدلاً في الولايات المتحدة. وبعدها نشر رواية طويلة ثانية من بطولة شيرلوك هولمز، هي رواية «علامة الأربعة» التي نُشرت عام ١٨٩٠ فوطّدت شخصيةَ هولمز في بريطانيا وأمريكا على السواء.

في السنة التالية بدأ نشر مجموعة «مغامرات شيرلوك هولمز» في حلقات شهرية في مجلة «ستراند»، بدءاً بقصة «فضيحة في بوهيميا» التي ظهرت في عدد تموز (يوليو) ١٨٩١، فقوبلت هذه القصص بنجاح كبير غير مسبوق في تاريخ الصحافة البريطانية، ودخلت هذه الشخصية الخيالية التاريخَ من بابه الواسع، حيث صارت حديثَ المجتمع وشُغلَ الناس في أنحاء البلاد.

وقد بلغ عدد قصص هذه السلسلة اثنتَي عشرة، نُشر

آخرها في عدد حزيران (يونيو) من عام ١٨٩٢. ثم ظهرت سلسلة «مذكرات شيرلوك هولمز» التي نُشرت في اثنتَي عشرة حلقة أيضاً صدر أولها في كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٢، ويبدو أن دويل بدأ يملّ عندئذ من كتابة قصص شيرلوك هولمز، ولذلك «قتله» في آخر قصة من هذه المجموعة في معركة مع البروفسور موريارتي الشرّير عند شلالات رايشِنْباخ في سويسرا! وقد نُشرت هذه القصة، وعنوانها «المشكلة الأخيرة»، في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٩٣.

وثار جمهور دويل غضباً وانهالت عليه ألوف الخطابات تستنكر عمله وخسرت المجلة عشرين ألف اشتراك، ولكن دويل تمسّك بموقفه، فقد شعر بأن شيرلوك هولمز يَحول بينه وبين أعمال أكثر أهمية. ثم وافق أخيراً بسبب الإلحاح الذي لم ينقطع على إعادة إحياء شيرلوك هولمز، فأعاده إلى العمل في قصة «مغامرة المنزل الفارغ» التي نُشرت في مجلة «ستراند» في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٠٣.

وعاد شيرلوك هولمز إلى الأضواء من جديد، فقد تبيّن أنه لم يُقتَل على الإطلاق، وفي تلك القصة (المنزل الفارغ) شرح دويل كيف نجا هولمز من الموت بأعجوبة، ثم شقّ طريقه بعد ذلك إلى بلاد التبت لمساعدة اللاما الكبير، ثم عاد إلى لندن ليحقق في وفاة ابن أحد اللوردات بطريقة غامضة. وقد أثارت عودة شيرلوك هولمز في مجلة «ستراند» في بريطانيا ومجلة «كولْيِرْز» في أمريكا حماسة بالغة في نفوس عشّاقه المخلصين وحققت للمجلتين مبيعات غير مسبوقة. واستمر نشر سلسلة

«عودة شيرلوك هولمز» (التي بلغ عدد حلقاتها ثلاث عشرة حلقة) حتى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤.

وكان دويل قد نشر قبل هذه السلسلة روايةَ شيرلوك هولمز الطويلة الثالثة «كلب باسكرفيل»، وقد استمر نشر حلقاتها من آب (أغسطس) ١٩٠١ إلى نيسان (أبريل) ١٩٠٢، وهي أشهر روايات شيرلوك هولمز على الإطلاق.

وبعدها صدرت سلسلة «ذكريات شيرلوك هولمز: الظهور الأخير» التي تضم سبع قصص نُشرت على حلقات متباعدة بين أيلول (سبتمبر) ١٩٠٨ وكانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣. ثم الرواية الطويلة الرابعة «وادي الرعب» (١٩١٤/٩-١٩١٥/٥) التي حازت على إعجاب النقّاد في كل الأوقات. وأخيراً سلسلة «قضايا شيرلوك هولمز» (١٩٢١/١٠-١٩٢٧/٤) التي نُشرت آخر حلقاتها بعد أربعين سنة تماماً من صدور أولى روايات شيرلوك هولمز.

ولم تقتصر مؤلفات آرثر كونان دويل على قصص وروايات شيرلوك هولمز، فقد ألّف كتباً كثيرة غيرها، منها روايات تاريخية ورومَنْسيّة ومسرحيات، بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب غير الروائية.

والحقيقة أنه كان كاتباً غزير الإنتاج، فقد بلغ ما تركه من مؤلفات نحو مئة وستين، منها ستّون من قصص وروايات شيرلوك هولمز، وخمس روايات من بطولة شخصية خيالية أخرى ابتكرها هي شخصية عالِم اسمه البروفِسور تشالنجر

(أشهرها رواية «العالَم المفقود») ونحو أربعين رواية من الروايات المتنوعة، بالإضافة إلى عشر مسرحيات وأربعة دواوين شعرية، وأكثر من خمسين كتاباً وكتيّباً في الشؤون الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وكتاب ذكرياته الجميل الذي سمّاه «ذكريات ومغامرات».

* * *

رسّام شيرلوك هولمز الأشهر

تعاقب على رسم شخصية شيرلوك هولمز عددٌ من الرسّامين، لكن أشهرهم وأعظمهم -بلا خلاف- كان الرسام الإنكليزي سدني باجيت الذي صاحَبَ قصص هولمز منذ ولادتها المبكرة، وهو الذي بَلْوَر صورة شيرلوك هولمز وطبَعَها في عيون القراء على مدار السنين.

والغريب أن المجلة لم تسعَ ابتداءً خلف سدني باجيت بل خلف أخيه الأكبر ولتر الذي كان قد نجح في رسم رسومات قصّتَي «جزيرة الكنز» و«روبنسون كروزو»، لكن خطأً في الاتصالات تسبب في دعوة سدني، الأخ الأصغر، لرسم صور القصص الستّ الأولى التي نشرتها مجلة «ستراند» في النصف الثاني من عام ١٨٩١، وعلى إثر النجاح الهائل الذي لقيَته هذه القصص مع رسوماتها التصق سدني باجيت بآرثر كونان دويل لتصبح رسومات هذا بنفس أهمية كتابة ذاك في

عالم شيرلوك هولمز. وقد استمر سدني باجيت برسم الصور لقصص وروايات شيرلوك هولمز حتى وفاته عام ١٩٠٨، وبلغ عدد ما رسمه خلال هذه السنوات ٣٥٧ رسماً زيّنت ٣٨ قصة.

وحين توفي سدني استعانت مجلة «ستراند» برسّامين آخرين، فشارك في رسم السلسة الجديدة «ذكريات شيرلوك هولمز: الظهور الأخير» كل من وُلْتَر باجيت، الأخ الأكبر لسدني، وآرثر تويدل وتشارلز هَليدي وأَلِكْ بول وجوزف سمبسون وهنري بروك. أما السلسلة الأخيرة (قضايا شيرلوك هولمز) فقد رسمها ثلاثة من الرسامين هم هَوارد إلْكوك وفرانك وايْلز وألفرِدْ جِلبرْت.

هذا في نسخة هولمز البريطانية التي نشرتها مجلة «ستراند». أما في أمريكا فقد استعانت مجلة «كولِيرْز» بعدد من الرسامين أشهرهم فردرِك دورْ ستيل، ومنهم جوزف فريدرتش ورِتشارد غوتشمت ووليَم هايْد.

* * *

مغامرات شيرلوك هولمز
(٥)

بُذور البُرتقال الخمس

نُشرت للمرة الأولى في مجلة «سْتراند» الشهرية
في عدد تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩١

عندما ألقي نظرة سريعة على ملاحظاتي وتسجيلاتي لقضايا شيرلوك هولمز بين عامَي ١٨٨٢ و١٨٩٠ أجد عدداً كبيراً منها محمَّلاً بالميزات الغريبة والمشوّقة، ما يجعل من الصعب تحديد أيّها أترك وأيّها أختار!

بعض هذه القضايا اكتسب دعاية وشهرة من خلال الصحف، أمّا البعض الآخر فلم يسمح بظهور تلك الصفات المميّزة التي يتمتع صديقي بها وتسعى الصحف إلى تصويرها. وقد حيّر بعضُها مهارات صديقي التحليلية فبقيت بدايات بلا نهايات، مثل القصص والروايات، وأمكن حلّ البعض الآخر جزئياً أو فُسِّر فقط من خلال التخمين والتصوّر لا من خلال الدليل المنطقي المطلَق الذي كان يفضّله. قصتنا الحالية من هذا النوع، فهي قضية رائعة في تفصيلاتها مذهلة في نتائجها، بالرغم من أن بعض النقاط المتّصلة بها لم توضَّح كلّياً، وربما لن توضَّح أبداً.

* * *

في يوم من أيام أواخر شهر أيلول (سبتمبر) كانت العواصف الموسمية تهبّ بعنف غير عادي، فالرياح تزأر بقوّة والأمطار تضرب على النوافذ بعنف. وحين دخل المساء ازدادت العاصفة قوة وهديراً، وراحت الرياح تصرخ وتنوح عبر المدفأة كطفل صغير.

جلس شيرلوك هولمز على أحد جوانب المدفأة مكتئباً يراجع فهرَسة سجلاّت قضاياه، وجلست أنا في الجانب الآخر مستغرقاً بقراءة إحدى القصص البحرية الرائعة لكلارك رَسّل، حتى خُيِّل إليّ وكأن زئير العاصفة قد اختلط بالنصّ، وأن دقّات المطر استطالت لتختلط مع اندفاع أمواج البحر الهائج! ولأن زوجتي كانت في زيارة لأمها فقد عدت للإقامة في منزلي القديم بشارع بيكر لبضعة أيام.

فجأة هتفت بدهشة وأنا أنظر إلى رفيقي قائلاً: إنه الجرس بالتأكيد! مَن عساه جاء الليلة؟! أيمكن أن يكون أحد أصدقائك؟

أجاب: ليس لي أصدقاء سواك، كما أنني لا أشجّع الزوار.

- عميل إذن؟

- لو أنّ الأمر كذلك فهي قضية خطيرة بلا شكّ، فلا شيء غير ذلك يمكن أن يدفع أحداً إلى الخروج في مثل هذا اليوم العاصف وهذه الساعة المتأخرة. ولكنني أغلّب احتمال أن يكون أحد ضيوف صاحبة المنزل.

كان شيرلوك هولمز مخطئاً في تخمينه على أية حال، وحينما سمعنا خطوات في الممرّ ودقّات على الباب مَدَّ يده فحوّل المصباح بعيداً عنه في اتجاه الكرسيّ الخالي الذي سيجلس عليه القادم الجديد، ثم قال: ادخل.

كان الداخل شابّاً أنيقاً حسن الهندام في الثانية والعشرين

من العمر تقريباً، تحمل ملامحه الكثيرَ من الطيبة والرقّة وتدل المظلة المبلَّلة في يده وواقي المطر الطويل اللامع الذي يرتديه على مدى قسوة الطقس الذي جاء فيه.

رسم سدني باجيت (١٨٩١) Sidney Paget (1891)

نظر إليه شيرلوك هولمز بقلق تحت وهج المصباح، وكنت أستطيع رؤية شحوب وجهه وتثاقل عيونه كمن يرزح تحت وطأة قلق شديد. قال: أنا مدين لك باعتذار...

ثم دفع نظّارته الذهبية إلى الأعلى واستطرد قائلاً: أرجو أن لا أكون متطفلاً، وأخشى أن أكون قد أدخلت بعض آثار العاصفة والمطر إلى غرفتك الدافئة.

قال هولمز: أعطِني معطفك ومظلّتك، سنضعهما هنا على العلّاقة ليجفّا في الوقت الحاضر. لقد جئتَ من الجنوب الغربي كما أرى.

- أجل، من هورشام.

- هذا الخليط من الطين والجير الذي أراه على أطراف حذائك مميَّز جداً.

- لقد جئتُ طالباً النصيحة.

- هذا أمر سهل.

- والمساعدة.

- ليست بالسهولة نفسها.

- لقد سمعت عنك يا سيد هولمز، أخبرني الميجور برنْدَرْغاسْت كيف أنقذته من فضيحة نادي تانكرفيل.

- آه، بالطبع، لقد اتُّهم ظلماً بالغشّ في اللعب.

- قال إنك تستطيع حل أي شيء.

- لقد بالغ في كلامه.

- وإنك لم تُهزَم قط.

- لقد هُزمت أربع مرات: ثلاث مرّات مع رجال ومرّة واحدة مع امرأة!

- ولكن هذا لا يقارَن بعدد انتصاراتك.

- فعلاً، أنا ناجح على وجه العموم.

- إذن لعلك تنجح معي.

- أرجو أن تسحب كرسيك قرب النار وتخبرني بتفصيلات قضيتك.

- إنها ليست بالقضية العاديّة.

- كل القضايا التي تأتيني غير عادية، فأنا آخر ملاذ يلجؤون إليه حين يعجزون.

- وبالرغم من كل خبرتك يا سيدي، فأنا أشكّ في أن تكون قد سمعت بقضية أكثر غموضاً أو سلسلة من الأحداث غير المبرَّرة كالتي حدثت في عائلتي.

قال هولمز: إنك تشوّقني. حسناً، أخبرني بالحقائق الأساسية منذ البداية، وبعد ذلك سأسأل عن التفصيلات التي ستبدو لي مهمّة.

سحب الشابّ الكرسي وقرّب قدميه المبلّلتين ناحية اللهب ثم قال: اسمي جون أوبِنْشو، وليست لي علاقة مباشرة

بهذه القضية الفظيعة كما أعتقد. إنها مشكلة موروثة، لذلك سأعود بك إلى بداية الأمر لكي أعطيك فكرة عن الحقائق. يجب أن تعلم أن جدّي كان عنده ابنان، عمّي إلياس ووالدي جوزيف، وقد امتلك أبي مصنعاً صغيراً في كوفِنْتري، ثم وسَّعَه بعد اختراع الدرّاجات الهوائية، وكان صاحبَ براءة اختراع «عجَلة أوبنشو» غير القابلة للكسر. وقد لاقى عمله هذا نجاحاً كبيراً سمح له ببيع المشروع والتقاعد مع دخل كبير.

أما عمّي إلياس فقد هاجر إلى أمريكا وهو شابّ صغير وعمل مزارعاً في فلوريدا حيث أبلى بلاء حسناً، وحين اندلعت الحرب حاربَ في جيش جاكسون، ثم انضمّ لجيش هود ووصل إلى رتبة نقيب. وحين استسلم الجنرال «لي» عاد عمّي إلى مزرعته حيث بقي أربعة أعوام، وفي نحو عام ١٨٦٩ أو ١٨٧٠ عاد إلى أوروبا، فاشترى عزبة صغيرة في سَسِكْس بالقرب من هورشام.

لقد كسب عمّي ثروة كبيرة في الولايات المتحدة، إلا أنه تركها بسبب كرهه للزنوج ورفضه لسياسة الجمهوريين التي تمدّهم بالامتيازات. كان رجلاً وحيداً، وكان عنيفاً حادّ الطباع بذيء اللسان حين يغضب، وكان ذا نزعة انطوائية، حتى إنني أشكّ في أنه ذهب إلى المدينة ولو مرّة واحدة طوال السنوات التي عاشها في هورشام. كان منزله مُحاطاً بحديقة وبضعة حقول، وهناك كان يزاول الرياضة، وكان يقضي أسابيع طويلة في غرفته في أغلب الأحيان، حيث يسرف في الشراب ويدخّن بشراهة ويرفض الاختلاط بالناس، فهو لم يرحّب بأي

أصدقاء، ولا حتى بأخيه.

لكنه لم يمانع في وجودي معه، بل في الحقيقة لقد شعر بميل تجاهي، حيث إنني كنت ما زلت صغيراً في الثانية عشرة أو نحوها حين رآني أول مرة، وكان ذلك في عام ١٨٧٨، بعد مرور ثمانية أعوام أو تسعة على وجوده في إنكلترا، وقد توسّل إلى أبي حتى وافق على السماح لي لأعيش معه. كان رقيقاً معي، على طريقته، حتى إنه اعتاد لعب الطاولة والداما معي في الأوقات التي يفيق فيها من تأثير الشراب، وجعلني مندوباً عنه في التعامل مع الخدم والتجّار. ومع بلوغي السادسة عشرة صرت سيّداً للمنزل، أحتفظ بكل المفاتيح وأذهب أينما أريد وأفعل ما أحب ما دمت لا أضايقه في عزلته.

كان هناك استثناء واحد: غرفة خشبية في العِلِّيّة مغلَقة دائماً ولا يُسمَح لي أو لأحد آخر بدخولها. وقد دفعني فضول الصغار إلى النظر من خلال ثقب المفتاح، لكني لم أرَ أكثر من مجموعة من الصناديق والحُزَم القديمة كما هو متوقَّع في مثل هذه الغرف.

في أحد أيام آذار (مارس) عام ١٨٨٣ رأيت على الطاولة أمام طبق عمي خطاباً عليه طابع بريد أجنبي. ولم يكن مألوفاً أن يتسلم خطابات، فكل الفواتير كانت تُدفَع نقداً ولم يكن له أصدقاء من أي نوع. قال وهو يرفع الخطاب: من الهند؟ ختم بريد بوندشيري! ماذا يمكن أن يكون هذا؟

فتحه بسرعة، فسقطت منه خمسٌ من بذور البرتقال

الصغيرة الجافّة وقرقعت على طبقه! بدأت بالضحك، ولكن الضحكة تجمّدَت على شفتَيّ حين رأيت منظر وجهه، فقد تدلّت شفتاه وبرزت عيناه وشحب لونه، وأخذ يحملق إلى الظرف الذي ما زال يحمله بيده المرتجفة، ثم صرخ قائلاً: ك ك ك! يا إلهي، لقد أدركوني!

صحت قائلا: ماذا حدث يا عمّي؟

قال: الموت!

ثم نهض عن الطاولة وذهب إلى غرفته وتركني أرتجف من الرعب.

أخذت الظرف ورأيت كتابة بخطّ رديء بالحبر الأحمر على الجزء الداخلي للغلاف فوق الصمغ مباشرة، حيث تكرر الحرف «ك» ثلاث مرات، ولم يكن فيه أي شيء آخر مع البذور الخمس الجافّة! ماذا يمكن أن يكون سبب هذا الذعر الذي أصابه؟

تركت مائدة الإفطار، وبينما كنت أصعد الدرَج قابلته نازلاً وبيده مفتاح صدئ، فأدركت أنه لا بدّ وأن يكون مفتاح العلّيّة، وفي اليد الأخرى كان يحمل علبة نحاسية صغيرة كالتي توضَع فيها النقود، ثم قال وهو يقسم: ليفعلوا ما يريدون... سوف أتغلب عليهم في كل الأحوال. أخبر ماري أنني سأحتاج ناراً في غرفتي اليوم، وأرسل في طلب فوردهام، المحامي في هورشام.

نفّذت ما أمرني به، وعندما وصل المحامي طُلب مني

الدخول إلى الغرفة. كانت النار تتأجج في الموقد وفيه كتلة من الرماد الأسود المنفوش كبقايا الورق المحروق، وكان الصندوق النحاسي مفتوحاً وفارغاً. ألقيت نظرة سريعة على الصندوق فلاحظت بفزع أن حرف «ك» مطبوع على غطائه ثلاث مرات، وهو نفس ما قرأته على الظرف في ذلك الصباح!

قال عمّي: أتمنّى أن تكون شاهداً على وصيّتي يا جون. سأترك عزبتي بكل مزاياها وكل عيوبها لأخي، أبيك، وسوف تؤول لك في نهاية الأمر بلا شكّ. إذا استطعت الاستمتاع بها في سلام فخير لك، وإذا اكتشفت أنك لا تستطيع ذلك فاتبع نصيحتي -يا بُنيّ- واتركها لألدّ أعدائك. أنا آسف لإعطائك شيئاً على هذا القدر من التناقض، ولكني لا أعرف إلامَ ستؤول الأمور الآن. رجاءً وقّع الأوراق حيث يشير إليك السيد فوردهام.

وقّعت الورقة كما أشار عليّ وأخذها المحامي معه. وقد تركت تلك الحادثة الفظيعة -كما هو متوقَّع- أعمق الأثر في نفسي. فكّرت مليّاً وقلّبت الأمر في عقلي على كل جوانبه، فلم أستطع استخلاص أي شيء منه، كما لم أستطع التخلّص من الشعور الغامض بالخوف الذي خلّفَته الحادثة في نفسي.

مع الوقت تضاءل ذلك الإحساس بعدما مرّت أسابيع لم يحدث فيها شيء يعكّر نمط حياتنا المعتاد، وإن كنت قد لاحظت التغيّر على عمي، حيث صار يشرب أكثر من أيّ وقت مضى، كما أصبح أقلّ ميلاً إلى الاجتماع بأي كان،

فكان يُمضي أكثر الوقت في غرفته محكِماً إغلاق بابها من الداخل، وأحياناً كان يخرج من غرفته في نوبة من نوبات الهياج تحت تأثير الشراب فيندفع خارج المنزل إلى الحديقة حاملاً معه مسدّساً وصارخاً بأنه لا يخاف أحداً وأن أحداً أيّاً كان لن يستطيع حبسه كما تُحبَس الأغنام في الحظيرة! وبعد أن تخمد شدّة النوبات كان يندفع بعنف نحو الباب ليُحكِم إغلاقه من جديد، كمَن لا يستطيع تحدّي الرعب المسيطر عليه حتى الأعماق أكثر من ذلك. وكنت أرى وجهه يتصبب عرقاً غزيراً في تلك النوبات رغم برودة الجوّ!

حسناً، لن أطيل عليك حتى لا ينفد صبرك يا سيد هولمز. في النهاية جاءت الليلة التي خرج فيها بإحدى تلك الجولات وهو فاقدٌ رشدَه، ثم لم يعُد منها قط! وحين بحثنا عنه وجدناه وقد انكفأ على وجهه في بركة صغيرة يكسوها العشب الأخضر تقع في آخر الحديقة. لم نرَ أي أثر للعنف ولم يَزِد عمق الماء على قدمين، فكان رأي المحلَّفين (نظراً إلى ما عُرف عنه من غرابة الأطوار) أنها حالة انتحار. أما أنا فقد عرفت كم كان يجفل من مجرّد التفكير في الموت، فواجهت صعوبة في إقناع نفسي بأنه سعى إليه بيديه. وعلى كل حال فقد انقضى الأمر وامتلك أبي العزبة بالإضافة إلى مبلغ أربعة عشر ألف جنيه إسترليني أضيفت إلى حسابه المصرفي.

قاطعه هولمز قائلاً: لحظة واحدة. إن قصتك -كما أرى- واحدة من أهمّ القضايا التي استمعتُ إليها، فأرجو أن تخبرني بموعد استلام عمّك الخطابَ وموعد انتحاره المزعوم.

- وصل الخطاب في العاشر من آذار (مارس) عام ١٨٨٣، وقد مات بعدها بسبعة أسابيع، في ليلة الثاني من أيار (مايو).

رسم جوزف فريدرتش (١٩٠٦) Josef Friedrich (1906)

- شكراً، استمرّ في روايتك لو سمحت.

واصل الشابّ حديثه قائلاً: حينما انتقلت ملكية عزبة هورشام لأبي قام -بناء على طلبي- بفحص العِلِّيّة التي كانت مغلَقة دائماً فحصاً جيّداً. وقد وجدنا فيها العلبة النحاسية، ولكن محتوياتها كانت قد أُتلِفت. وجدنا على الناحية الداخلية للغطاء رقعة ورقية مكتوباً عليها الأحرف الأولى الثلاثة «ك ك ك»، ثم عدّة كلمات تحتها هي «خطابات، مذكّرات، إيصالات، لائحة». وقد افترضنا أن هذه الكلمات دليل على طبيعة الأوراق التي أتلفها عمي، حيث إن ما بقي في العلّية لم تكن له أهمية ذات شأن، بل فقط بعض الصحف المتناثرة والمذكّرات التي تحكي حياة عمّي في أمريكا، بعضها عن فترة الحرب وتُظهِر أنه أدى واجبه على أتمّ وجه واشتهر بأنه جنديّ شجاع، والبعض الآخر عن فترة إعادة إعمار الولايات الجنوبية، وكانت تتعلق بوجه عامّ بالسياسة، فقد كان له دور -على ما يبدو- في معارضة المتطفلين السياسيين الذين جاؤوا من الولايات الشمالية.

في بداية عام ١٨٨٤ انتقل أبي للإقامة في هورشام، ومضى كل شيء على خير ما يرام حتى كان شهر كانون الثاني (يناير) من عام ١٨٨٥، ففي اليوم الرابع بعد احتفالات العام الجديد سمعت صيحة دهشة أطلقها أبي فيما كنا جالسَين إلى مائدة الإفطار. كان جالساً وفي إحدى يديه ظرف فُتح للتوّ وفي كفّ يده الأخرى الممدودة خمس بذور برتقال جافّة! لقد كان يسخر دائماً مني ومما سمّاه «الحكاية التي لا تصدَّق» عن أخيه

الراحل، ولكنه بدا في تلك اللحظة خائفاً حائراً حين واجهته الظروف ذاتها.

قال أبي متلعثماً: ما معنى هذا يا جون بالله عليك؟!

شعرت بثقل في قلبي وأنا أقول: إنها «ك ك ك».

نظر داخل الظرف وصاح: إنها كذلك... ها هي الحروف ذاتها! ولكن ما هذا المكتوب فوقها؟

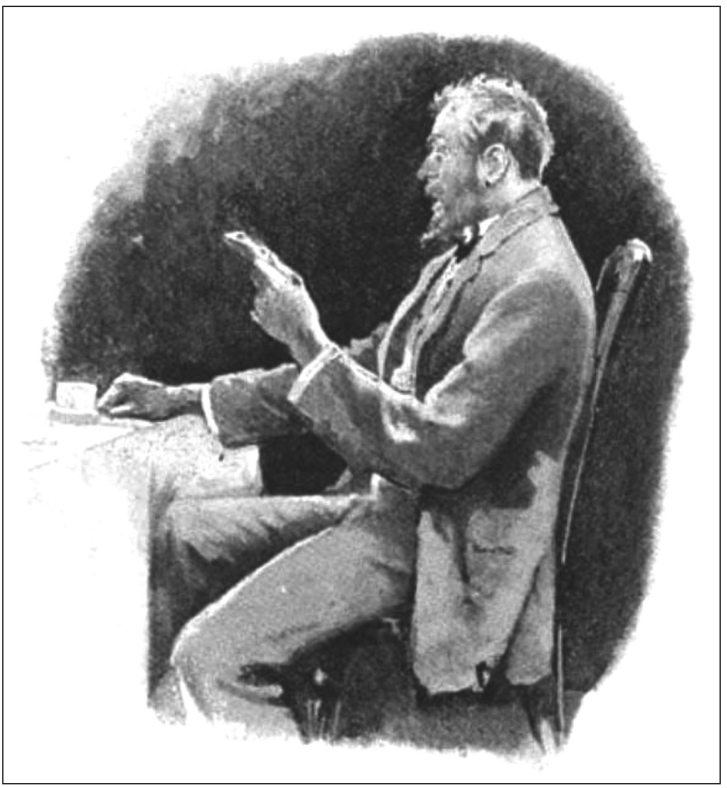

رسم سدني باجيت (١٨٩١) Sidney Paget (1891)

اختلست النظر من فوق كتفه وقرأت: "ضع الأوراق في الساعة الشمسية".

تساءل أبي: أيّ أوراق؟ وأي ساعة شمسية؟!

قلت: الساعة الشمسية في الحديقة. لا يوجَد غيرها، أمّا الأوراق فلا بدّ أنها تلك التي أتلفها عمي قبل موته.

قال أبي محاولاً استجماع شجاعته: هراء، إننا نعيش في بلد متحضر هنا ولا يمكن أن نتقبل عملاً صبيانياً من هذا النوع. من أين أتى هذا الخطاب؟

أجبته وأنا أنظر إلى ختم البريد: من دَنْدي.

قال أبي: يا لها من مزحة غير معقولة! ما علاقتي أنا بالساعة الشمسية والأوراق؟ لن أبالي بهذه التفاهات.

قلت: يجب أن نخبر الشرطة.

- لن أفعل شيئاً من هذا القبيل وأعرّض نفسي إلى السخرية والإزعاج.

- اسمح لي بذلك إذن.

- لا، أنا أمنعك؛ لن أسمح بإثارة ضجّة بسبب شيء تافه كهذا الأمر.

كان من العبث الجدال معه، فهو رجل عنيد، ولكني شعرت بنُذُر الشرّ تملأ قلبي.

بعد ذلك غادر أبي المنزل لزيارة أحد أصدقائه القدامى،

وهو الميجور فريبَدي الذي كان قائداً لأحد الحصون في بورتسْداون هِلْ. ذهب إليه في اليوم الثالث بعد وصول الخطاب، وقد أسعدني ذهابه حيث بدا لي أنه كلما بَعُد عن المنزل قَلَّ الخطر، ولكني كنت مخطئاً في ذلك! ففي اليوم الثاني لغيابه تلقّيت برقية من الميجور فريبَدي يحثّني فيها على القدوم فوراً.

لقد سقط أبي في إحدى الحفر الجيرية العميقة المنتشرة في الجوار، وكان يرقد فاقداً الوعيَ وجمجمته مهشَّمة! أسرعت إليه، ولكنه مات دون أن يستعيد وعيه أبداً. كان عائداً -على ما يبدو- من فيرهام وقت الغسق، ولأن المنطقة كانت غريبة عليه ومَحْجر الجير غير مسيَّج فقد أصدر المحلَّفون قرارهم بلا تردّد باعتبار الوفاة «موتاً ناتجاً عن أسباب عرَضية». ومع أنني فحصت كل الحقائق المتعلقة بموته بعناية إلا أنني لم أستطع العثور على أي دليل يرجّح فكرة القتل، فلم يكن هناك دليل على العنف ولا آثار أقدام ولم يتعرض للسرقة ولم يشاهد أيٌّ من أهل المنطقة غرباء في الطريق. ولا حاجة بي إلى إخبارك أنني -ورغم كل شيء- لم أستطع أن أرتاح، فقد كنت متأكداً أن مؤامرة حقيرة قد حيكت ضدّه.

بهذه الطريقة المشؤومة حصلت على ميراثي. ربما سألتني: لماذا لم أتخلص منه؟ والإجابة أنني كنت مقتنعاً بأن مشكلاتنا كانت متعلقة بشكل ما بإحدى الوقائع التي حدثت في حياة عمّي، وأن الخطر سيظلّ مخيّماً سواء في هذا المنزل أو في غيره.

مات أبي المسكين في كانون الثاني (يناير) عام ١٨٨٥، وقد مرّ على وفاته عامان وثمانية أشهر عشت فيها بسعادة في هورشام، وكنت بدأت أرجو أن تكون اللعنة قد ابتعدت عن العائلة وأنها انتهت مع نهاية الجيل الراحل، ولكن يبدو أنني اطمأننت مبكّراً، فقد تلقّيت صباح أمس الصدمةَ نفسها التي تلقّاها أبي من قبل.

رسم سدني باجيت (١٨٩١) Sidney Paget (1891)

أخرج الشابّ ظرفاً مجعَّداً من جيب معطفه، ثم توجّه إلى الطاولة وفتحه فانزلقت منه خمس بذور برتقال جافّة. قال: هذا هو الظرف وختم البريد: لندن، القسم الشرقي. وفي داخله نفس الأحرف التي كانت في رسالة أبي الأخيرة «ك ك ك»، وبعدها "ضع الأوراق في الساعة الشمسية".

سأله هولمز: ماذا فعلت؟

- لم أفعل شيئاً.

- لا شيء؟

غطّى وجهه بكفّه النحيلة الشاحبة وقال: سأقول لك الحقيقة. لقد شعرت بالعجز تماماً كما لو أنني أحد تلك الأرانب المسكينة حين يزحف إليها الثعبان، فأنا -على ما يبدو- واقع في قبضة شرّ جامح لن تحميني منه أية احتياطات مسبَقة أو إجراءات وقائية!

صاح شيرلوك هولمز مستهجناً: يجب أن تفعل شيئاً يا رجل، وإلا فسوف يُقضى عليك. لا وقت لليأس، القوّة وحدها هي التي ستنقذك.

- لقد ذهبت إلى الشرطة.

- ثم ماذا؟

- استمعوا إليّ وهم يبتسمون، وأنا مقتنع بأن رأي المفتش قد استقرّ على أن الخطابات ما هي إلا مزحة وأن وفاة أقاربي هي في الحقيقة مجرّد حوادث كما قرّر المحلّفون ولا

علاقة لها بالتحذيرات.

هزّ هولمز قبضتيه في الهواء وصاح: هذه حماقة غير معقولة!

- لكنهم سمحوا ببقاء شرطيّ في المنزل على أية حال.

- هل هو معك الليلة؟

- لا، فالأوامر تقضي ببقائه في المنزل.

لوّح هولمز بقبضتيه في الهواء مرة أخرى وصاح: ما الذي أتى بك إلى هنا؟ والأهمّ هو: لماذا لم تأتِ إليّ في الحال؟

- لم أعرف، فاليوم فقط تحدثت مع الميجور برنْدَرْغاسْت عن مشكلاتي فنصحني بأن آتي إليك.

- لقد مضى يومان على استلامك الخطاب، وكان يجب علينا أن نتصرف قبل ذلك. أنت لا تملك دليلاً آخر -على ما أظن- غير ذلك الذي عرضته علينا. ألا توجَد لديك بعض التفصيلات الموحية التي قد تساعدنا؟

قال جون أوبنشو: شيء واحد فقط.

ثم فتّش في جيب معطفه وأخرج قطعة من الورق البالي ذي اللون الأزرق فوضعها على الطاولة قائلاً: أتذكر أنني لاحظت وسط الرماد -عندما أحرق عمّي الأوراق- بعض الأطراف الصغيرة التي لم تحترق، وكانت بنفس هذا اللون

بالذات، وقد وجدت هذه الورقة الوحيدة على أرض غرفته، وأنا أميل إلى الاعتقاد بأنها واحدة من تلك الأوراق وقد طارت من بينها فنجَت من التلف، ولكني لا أرى فيها ما يمكن أن يساعدنا عدا ما ذُكر عن البذور. إنها تبدو كورقة من مذكّرات خاصة، أما الخط فهو خط عمّي بالتأكيد.

حرّك هولمز المصباح وانحنى كلانا على الورقة التي أظهرت حافتُها المشرشَرة أنها مُزِّقت من كتاب. كان تاريخها «آذار (مارس) ١٨٦٩» وتحته كانت الملاحظات المبهَمة التالية:

الرابع: جاء هدسون، الرصيف القديم نفسه.
السابع: وُضِعت البذور لماكولي وبارامور
وجون سوين من سينت أوغستين.
التاسع: غادر ماكولي.
العاشر: غادر جون سوين.
الثاني عشر: تمت زيارة بارامور،
كل شيء على ما يرام.

قال هولمز وهو يطوي الورقة ويعطيها لزائرنا: شكراً، والآن يجب أن لا تضيع لحظة أخرى مهما كان السبب، فنحن لا نملك حتى الوقت لمناقشة ما أخبرتني به، فلتذهب إلى المنزل فوراً وتتصرف.

- ماذا عساي أن أفعل؟

- ليس أمامك سوى شيء واحد لتفعله، ويجب أن

تفعله فوراً، هو أن تضع قطعة الورق التي عرضتَها علينا في الصندوق النحاسي الذي وصفتَه، وتضع معها ورقة تقول فيها إن كل الورق الآخر قد أحرقه عمّك وإن تلك هي الوحيدة الباقية. يجب أن تؤكّد ذلك بكلمات تقنعهم، وبعد ذلك ضع الصندوق في الساعة الشمسية كما أخبروك، هل تفهم؟

- تماماً.

- إياك أن تفكّر في الانتقام أو في أي شيء آخر من هذا القبيل في الوقت الحاضر. أظن أننا يمكن أن نحقّق ذلك بوسائل قانونية، ولكن يجب أن نُتقِن خطّتنا كما فعلوا هم، إلا أن اهتمامنا الأول يجب أن ينصبّ الآن على دفع الخطر الذي يهددك، وبعد ذلك نعمد إلى توضيح الغموض ومعاقبة الأطراف المذنبة.

قال الشاب وهو ينهض ويرتدي معطفه: شكراً لك، لقد بعثت فيّ الحياة والأمل من جديد، وسوف أنفّذ نصيحتك بالتأكيد.

- لا تضيّع أي لحظة، واعتنِ بنفسك في الوقت الحاضر، فلست أشكّ أبداً أنك مهدَّد بخطر حقيقي وشديد. كيف ستعود؟

- بالقطار من محطة واترلو.

- إنها لم تبلغ التاسعة بعد وستكون الشوارع مزدحمة، لذلك ستكون في أمان، ومع ذلك يجب أن تتوخى الحذر.

- أنا مسلَّح.

- هذا جيّد، سأبدأ العمل في قضيتك غداً.

- سأراك في هورشام إذن؟

- لا. إن سرّك يكمن في لندن، وفيها سأسعى إلى حلّه.

- حسناً إذن، سأتصل بك خلال يوم أو اثنين لأبلغك بالأخبار عن الصندوق والأوراق، سأتبع نصيحتك بحذافيرها.

ثم ودّعنا وخرج.

* * *

هدَرَت الرياح في الخارج وتزايدت دقّات المطر على النافذة، وبدت هذه القصّة الغريبة الجامحة وكأنها قد جاءت إلينا من وسط عناصر الطبيعة الغاضبة لتعصف بنا كورقة طحلب بحريّ وسط العاصفة، ومن ثَم عادت لتلتحم بتلك القوى الغاضبة من جديد!

جلس شيرلوك هولمز بعض الوقت صامتاً محنيّ الرأس وعيناه مثبَّتتان على وهج النار الأحمر، وبعد ذلك أشعل غليونه واعتدل في مقعده وهو يراقب دوائر الدخان الزرقاء تتسابق الواحدة تلو الأخرى باتجاه السقف، وأخيراً علّق قائلاً: أعتقد أن هذه القضيّة هي الأروع من بين كل قضايانا يا واطسون.

- ربما، باستثناء قضية «علامة الأربعة».

- حسناً، قد أستثني تلك القضية، وإن كنت أعتقد أن

هذا المدعوّ جون أوبنشو يسير بين أخطار أعظم من تلك التي واجهت عائلة شُلْتوس.

تساءلت قائلاً: وهل شكّلت رأياً محدَّداً عن طبيعة تلك الأخطار؟

أجاب: لا شكّ عندي في طبيعة هذه الأخطار.

- ماذا تكون إذن؟ ومن هو «ك ك ك» هذا؟ ولماذا يسعى خلف تلك العائلة التعسة؟

أغلق شيرلوك هولمز عينيه واضعاً مرفقَيه على ذراعَي مقعده، وضمّ أطراف أصابعه بعضها إلى بعض ثم قال: المحلّل المثالي هو الذي يأخذ حقيقة واحدة بكل تفصيلاتها ويستنتج منها، ليس فقط سلسلة الأحداث المؤدّية إليها ولكن أيضاً النتائج المترتبة عليها، فكما يستطيع العالِم الطبيعي أن يصف لنا حيواناً كاملاً من دراسة عظمة واحدة، فكذلك المراقب الذي فهم تماماً حلقة واحدة من سلسلة حوادث، يجب أن يكون قادراً على عرض بقية الأحداث السابقة واللاحقة. إننا لم ندرك -بعدُ- النتائج التي يؤدّي إليها المنطق وحده، ونستطيع ونحن جلوس في المكتبة حل المشكلات التي حيّرت كل أولئك الذين سعوا وراء الحل عن طريق استخدام كل حواسّهم، ولكي نصل بفنّ التحليل المنطقي إلى أقصاه فينبغي للمحلّل أن يستخدم كل الحقائق التي وصلت إليه، وهذا بحَدّ ذاته يدل -كما سوف ترى بوضوح- على امتلاك كل المعرفة، تلك المعرفة التي تمثّل إنجازاً نادراً حتى

في عصر التعليم والموسوعات! ليس من المستحيل تماماً على الإنسان أن يمتلك كل المعرفة التي من المرجَّح أن تفيده في عمله، وهذا هو ما سعيت جاهداً إلى تحقيقه، وقد استطعت أنت نفسك في الأيام الأولى لصداقتنا -على ما أذكر- تحديد قدراتي بصفة دقيقة جداً.

أجبته ضاحكاً: نعم، لقد كانت وثيقة رائعة، فقد حصلتَ في الفلسفة والسياسة وعلم الفلك على تقدير ضعيف جداً كما أذكر، وتفاوت مستواك في علم النبات، في حين كنت خبيراً في علم طبقات الأرض لدرجة ملاحظة بقع الطين وتحديد مصدرها في نطاق خمسين ميلاً من المدينة، ومتعمقاً وغريب الأطوار في الكيمياء، ومطلعاً بطريقة غير منهجية في علم التشريح، ومتميزاً في تاريخ وسجلّات الجريمة، ولاعبَ كمانٍ ومبارزاً وملاكماً محترفاً... تلك -كما أذكر- كانت النقاط الأساسية في دراستي لشخصيتك.

ضحك هولمز عندما سمع الجملة الأخيرة وقال: حسناً، ما أقوله الآن وما سبق أن قلته حينذاك هو أن الإنسان يجب أن يحتفظ في عقله بالأشياء المهمّة التي يحتاجها ويضع جانباً ما بقي من أشياء في قاع مكتبته حيث يستطيع الحصول عليه متى أراد. وبالنسبة للقضية التي تسلّمناها الليلة فعلينا أن نحشد كل مصادرنا. أرجوك ناولني حرف الكاف في الموسوعة الأمريكية... إنها على الرف المجاور. شكراً لك، والآن لنتدارس الموقف لنرى ما يمكن استنتاجه. أولاً دعنا نبدأ بافتراض أن العم أوبنشو كان لديه سبب قوي لمغادرة أمريكا،

فالرجال في عمره لا يغيّرون عاداتهم ولا يستبدلون بالمناخ الرائع لفلوريدا الحياةَ القاتمة في الريف الإنكليزي، كما أن ميله الشديد إلى الخلوة في إنكلترا يرجّح احتمال خوفه من شخص ما أو من شيء ما، ولذلك يمكن أن نضع فرضية أن «الخوف من شخص ما أو من شيء ما» هو الذي أخرجه من أمريكا، أمّا ما دعاه إلى الخوف فيمكن أن نستنتج ذلك إذا ما أخذنا في الاعتبار تلك الحروف المرعبة التي تسلّمها هو ومن بعده ورثته. هل لاحظت أختام البريد على الخطابات؟

- الأول من بوندشيري، والثاني من دَنْدي، والثالث من لندن.

- من شرق لندن... وما الذي تستنتجه من ذلك؟

- كلها موانئ بحرية، ولذلك فكاتب الخطاب كان على متن سفينة.

- ممتاز، لدينا الآن دليل. يبدو أن الكاتب كان على متن سفينة، وهذا الاحتمال يبدو قوياً. والآن لندرس نقطة أخرى: في حالة بوندشيري كانت سبعة أسابيع تفصل بين التهديد والتنفيذ، وفي حالة دندي كان الفاصل ثلاثة أيام أو أربعة، علامَ يدلّ هذا؟

- كانت أمامه مسافة كبيرة ليقطعها.

- ولكن الخطاب قطع مسافة أطول في الوصول.

- لا أستطيع فهم هذه النقطة.

- على الأقل توصلنا هذه النقطة إلى افتراض أن السفينة التي جاء فيها الرجل (أو الرجال) سفينة شراعية. إذ يبدو أنهم يرسلون الإنذار قبل أن يبدؤوا المهمّة، ولو أنهم جاؤوا من بوندشيري بسفينة بخارية لوصلوا في نفس وقت وصول الخطاب، ولكن سبعة أسابيع انقضت في حقيقة الأمر، وأنا أعتقد أن هذه الأسابيع السبعة تمثّل الفارق في السرعة بين سفينة البريد التي يحمل الخطاب والسفينة التي جاء بها كاتبه.

- ممكن.

- بل أكثر من ذلك، إنه احتمال قوي. والآن أنت ترى مدى أهمية السرعة في هذه القضية الجديدة ولماذا ألححت على الشاب أوبنشو ليأخذ حذره، فالضربة كانت دائماً تقع في نهاية الوقت الذي يستغرقه المرسل في قطع المسافة، ولكن هذا الخطاب الأخير جاء من لندن، ولذلك لا تستطيع الاعتماد على الوقت.

صحت قائلاً: يا إلهي! وماذا يمكن أن يعني هذا التحذير القاسي؟

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا، ونأمُل أن تكون قد استمتعت بقراءة جزء من هذه المجموعة القصصية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذا الكتاب (وسواه من الإصدارات) من موقعنا مباشرة، ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو احتجت لأي مساعدة.

الأجيال
www.al-ajyal.com